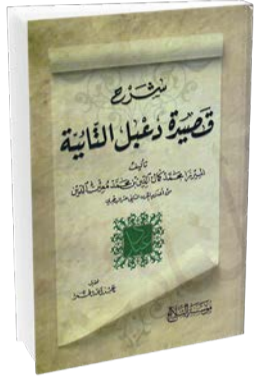
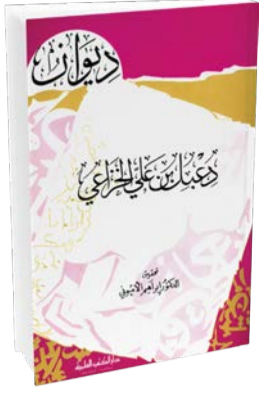


ائمة عصره الأطهار كقادة إلهيين وحقيقيين للأمم، وكان ينتفع من كلامهم وسلوكهم ومواقفهم السياسية والاجتماعية، وإن اشعاره وسيرته تؤكد ذلك.

لم يكن دعبل شاعراً لآل البيت عليهم السلام فقط، وإنما كان أيضاً راوياً لأحاديثهم، ويعتبر من طبقة الشعراء المحدثين، فإن حب الشاعر وبغضه يثري شعره ويعطيه تأثيراً وثمناً مضاعفاً وفي العاطفية يجعله أقرب إلى الكمال.

الحب والبغض والكثرة والغرام والغضب من الخصائص البارزة في قصائد الشعراء الملتزمين. دعبل هو رمز شعراء الشيعة في الإلتزام وهذه الحقيقة لها مظهر لامع في أشعاره وأن حياته وقصائده تعبر عن التولي والتبري، ويُعرف بين شعراء العرب بـ "التشيع وهجاء الخلفاء".



مكانته العلمية

لا شك أن دعبل لا يعد شاعراً جليلاً وذا أسلوب فقط، بل كان بالإضافة إلى عبقرية الشعرية من كبار علماء الشيعة في علم الكلام والحديث والقرآن والتأريخ والمعاجم. يقول العلامة الحلي: ابن علي الخزازي الشاعر، مشهور في أصحابنا في الإيمان وعلو المنزلة، وعظم الشأن.

هكذا هو من أعظم شعراء تاريخ الأدب في الشعر السياسي، وكان من خلال أشعاره ينشر الخلافة الإلهية الحق للإمام علي (ع) وأبنائه المعصومين عليهم السلام وينكر بها الخلافة المخزنية للأمويين والعباسيين. كتب محمد جواد مغنية: "أجرأ شاعر عرفه التاريخ في قول الحق، ومجاهبة المبطلين هو دعبل الخزازي".

أنشد دعبل قصيدة في رثاء أهل بيت العصمة عليهم السلام وأقسم على نفسه أن لا يقرأها لأحد قبل الإمام الرضا عليه السلام. تُعرف هذه القصيدة بـ "مدارس آيات".

صَدَّقت العامة والخاصة فصاحة أشعار دعبل وطلاقتها ويعتقد حنا الفخوري في تاريخ الأدب العربي أن شعر دعبل نابض بالحياة لأن روح قائله الثائرة المتمردة تخفق فيه؛ وهو على الإجمال سهل الألفاظ، واضح المعاني، حسن الإنسجام، تتردد فيه أنغام موسيقية عذبة.

معظم اشعاره في مدح آل البيت عليهم السلام من الشيعة وفي هجاء الخلفاء خاصة، ولكن قصائده بسبب الإخفاق الحاكم هجرت ونسيت شيئاً فشيئاً.

روى الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه "عيون أخبار الرضا (ع)" عن عبد السلام الهروري يقول: دخل

دعبل بن علي الخزازي على الرضا (ع) بمرور فقال له: يا ابن رسول الله إنني قد قلت فيك قصيدة والبيت على نفسي أن لا أنشدتها أحداً قبلك فقال الرضا عليه السلام هاتها فأنشد.

وفيمالي نلقم للقرآن الكرام بعض أبيات من قصيدة "مدارس آيات" التي أنشدتها دعبل عند الإمام الرضا عليه السلام:

بَكَيْتُ لِرِيسَمِ الدَّارِ مِنْ عَرَافَتِ وَأَدْرَيْتُ دَمْعَ العَيْنِ بِالعِبْرَاتِ ***

مَدَارِسُنْ آيَاتِ حَلَّتْ مِنْ تَلَاوَةِ وَمَنْزَلٌ وَحِي مَقْفَرُ العِرْصَاتِ لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْحَبِيفِ مِنْ مِئِ وَيَالِ لَكُنْ وَالْعَرِيفِ وَالْجَمْرَاتِ ***

دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ وَحَمْرَةَ وَالسَّجَادِ ذِي العُقْبَاتِ مَنَازِلُ كَانَتْ لِلصَّلَاةِ وَاللُّغَى وَالصُّومِ وَالتَّطَهْرِ وَالحَسَنَاتِ دِيَارُ عَفَاها جُورٌ كُلُّ مُنَابِذٍ وَلَمْ تَعْفُ لِلأيَّامِ وَالسَّنَوَاتِ قَفَا نَسْأَلُ الدَّارَ الَّتِي خَفَّتْ أَهْلُهَا مَتَى عَهْدُهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَاةِ؟ ***

هُمُ الأَهْلُ وَمِيزَاتِ النَّبِيِّ إِذَا عَتَرُوا وَهَمَّ خَيْرٌ سَادَاتِ وَخَيْرٌ حِمَاتِ إِذَا لَمْ نَنَاجِ اللَّهَ فِي صَلَوَاتِنَا بِأَسْمَائِهِمْ لَمْ يَقْبَلِ الصَّلَاةُ

يعتقد حنا الفخوري في تاريخ الأدب العربي أن شعر دعبل نابض بالحياة لأن روح قائله الثائرة المتمردة تخفق فيه؛ وهو على الإجمال سهل الألفاظ، واضح المعاني، حسن الإنسجام، تتردد فيه أنغام موسيقية عذبة



الشاعر الذي وقف بشجاعة لا مثيل لها ضد الظالمين دعبل الخزازي.. شاعر عبقري ورمز شعراء الشيعة في الإلتزام

الوفاق / خاص
عبدالكازم علي نجاد

الشعر والأدب بشكل عام هو نتيجة أفكار الإنسان ويُعد ركناً من ثقافة المجتمعات البشرية. الشعراء أحياناً يتخذون طريق النذل وبأناسيدهم وثنائهم للملوك والظالمين، يشترتون غضب الله وعباده لينالوا أجراً ومكاناً حتى يقضون حياتهم المخزية. وأحياناً يصرخون كالأسد الغضبان على أعداء الله والإنسانية لكي يسمع الجميع أصوات المظلومين والمحرومين. الشاعر الملتزم هو الذي يدافع عن رأي أخلاقي أو سياسي أو اجتماعي أو ديني، فتارة يتحمل السجون والتعذيب في هذه الطريقة، وتارة يضحي بحياته. من جانب آخر، الإلتزام يرجع إلى معتقدات الأفراد ومن المستحيل أن يؤمن الإنسان بشيء ولا يلزم نفسه بالدفاع عنه. دعبل بن علي الخزازي يمثل ذاتية الشاعر الملتزم؛ الذي وقف بشجاعة لا مثيل لها ضد الظالمين وطغاة عصره، ومن جانب آخر قام بالدفاع عن آل بيت الرسول (ص) وخطار بكل شيء من أجلهم.

المهدي والوائق وكثيراً من الخلفاء، وهناك بعض الأبيات التي هجا بها المعتصم وهي فيما يلي:
مُلُوكُ بَنِي العَبَّاسِ فِي الكُتُبِ سَبِغَةٌ
وَلَمْ تَأْتِنَا عَنْ ثَامِنٍ لَهُمْ كُتُبٌ
كَذَلِكَ أَهْلُ الكَيْفِ فِي الكُتُبِ سَبِغَةٌ
كِرَامٌ إِذَا عُدُوا وَثَامِنُهُمْ كَلْبٌ
وَإِنِّي لأَعْلَى كُتُبِهِمْ عَنكَ رَقْعَةٌ
لَأَذْكَ ذَنْبٌ وَلا يَسِينُ لَهُ ذَنْبٌ
عاش دعبل بفترات قوة وفترات ضعف وحياته الطويلة عاصرت تسعة من خلفاء العباسيين الظالمين (منصور، مهدي، هادي، هارون، أمين، مأمون، المعتصم، واثق ومعتوك).

وفي هذه الفترة التي حلت بالقرن أدرك أربعة من الأئمة المعصومين عند الشيعة وهم الإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد عليهم السلام الذين استشهدوا بعد الأذى والتعذيب والطرده والسجن مدة طويلة.

هكذا إقترف الخلفاء العباسيون الظالمون في هذه الأونة من التاريخ الإسلامي جرائم بالإضافة إلى قتل الأئمة المعصومين عليهم السلام يقصدون بها إفناء التراث الإسلامي والمدرسة الشيعية، وقمعوا الانتفاضات الشيعية ضددهم وأزاحوا قاداتها.

كان دعبل بمثابة الشاعر الملتزم بأهل البيت عليهم السلام يواصل

الغالب كانت شرافتهم مخبوءة بجهودهم في إعلاء كلمة الإسلام، وأساساً هذا البيت كان مؤمناً راسخاً منذ الوقت الذي حظي جدهم الأعلى بعناية الرسول (ص)، وإنهم أثبتوا بتضحياتهم العديدة في معارك صدر الإسلام إستقامتهم وسلامة إيمانهم، وأيضاً حاموا عن الإمام علي (ع) في واقعة صفين.

اتصل دعبل منذ شبابه بهارون الرشيد وحظي عنده، وفي عام (١٧٤ هـ) ق، وأله هارون مدينة سمنجان، وهي أول مكان الذي حكم فيه دعبل. وعلى أساس بعض الأقوال نصب "عباس بن جعفر" دعبلأ لهذه المهمة وطبقاً لبعض الأقوال الأخرى، عيّنه نجله "فضل بن العباس".

بعد ذلك ذهب دعبل إلى بغداد ثم ذهب للحج وبعد تشرفه لبيت الله هرب إلى مصر والتجأ بـ "مطلب بن عبد الله بن مالك الخزازي" أمير تلك المنطقة، ثم ولاه مطلب على أرض أسوان، ولكن فيما بعد قطع العدو بمحاولته العلاقة بينهما، فاضطر دعبل لمغادرة مصر.

وفي خطواته التالية من حياته الاجتماعية، فإنه لم يكتف بترك الخلفاء فقط، بل قام بالمعارضة ضددهم أيضاً وهجا هارون الرشيد والمأمون والمعتصم وإبراهيم بن

ولد في مدينة طيب (وهي حالياً من المناطق الحدودية في العراق)، وكانت في ذلك الوقت من نواحي السوس في خوزستان. وقد تنقل كثيراً طيلة حياته بين مدن خوزستان، وعند وفاة المعتصم عام ٢٢٧ هـ. كان يسكن مدينة صيمرة بالقرب من «مهرجان قذق» في شمال خوزستان، وحينما تلقى نبأ موت المعتصم، في الحال هجا الخليفة الميت والحي بأبيات:

الحَمْدُ لِلَّهِ لا ضَبْرٌ وَلا جُنْدٌ
وَلا عَزَاةٌ إِذَا أَهْلُ البَلَاءِ رَقَدُوا
حَلِيقَةُ مَاتَ لَمْ يَحْزَنْ لَهُ أَحَدٌ
وَأَخْرَجَ قَامَ لَمْ يَفْرَحْ بِوَأَحَدٌ
يعود إلى قبيلة خزاعة من بطون قبيلة أزد وهي المعروفة بالولاء لآل محمد صلوات الله عليهم اجمعين، وهذه القبيلة العربية ترجع إلى قحطان.

عرفوا آل رزيق بن سليمان (جد دعبل) بالعلم والأدب، وعلى حسب ما نقله صاحب معجم الشعراء كان "علي بن رزيق" (ابو دعبل) من قادة الشعر في عصره.

وبناء على قول ابن قتيبة في "الشعر والشعراء"، كان جد دعبل متذوقاً للشعر، وعمه عبد الله بن رزيق وابن عمه "أبو جعفر محمد" وأخويه "أبو الحسن علي وريزق" كانوا من الشعراء والخطباء.

والمهارة في الشعر والأدب ليست هي الميزة الوحيدة لهذا البيت، بل

أقوال أخرى حول وفاته ومدفنه. وورد إنه توفي عام ٢٤٥ هـ أو بسنة قبله أو بعده.

آثاره ومؤلفاته

الكاتب الشهير أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ جمع أشعار دعبل في ثلاثمائة صفحة ولكن لم يصل إلينا هذا الديوان. لقد بُذلت جهود لتجميع قصائد دعبل في عصرنا هذا، ومنها ديوان دعبل - تحقيق عبد الصاحب الجيلي الذي تم نشره عام ١٩٦٢م (١٣٤١ش) في النجف الأشرف، ونقله حيدر سهرابي إلى الفارسية ونُشر في طهران عام ١٣٩١ش.

ومما قام بتأليفه دعبل الخزازي، كتاباً حول فضائل ورذائل العرب عنوانه: "الواحدة في مناقب العرب ومثالبها" وأيضاً صنف كتاباً عنوانه "طبقات الشعراء".

لباب العالم الشيعي

دعبل بن علي الخزازي هو من أبرز الشخصيات الثقافية في العالم الشيعي، وقال عنه محمد علي المدرس التبريزي في ربحانة الأدب أنه لُقِّب بدعبل وكني بأبي علي وأبي جعفر.

ولد دعبل في الكوفة سنة ٤٤٨ هـ. ق، وكتب بعض المؤرخين أنه

أبو علي (أبو جعفر) دعبل بن علي بن رزيق الخزازي الكوفي (١٤٨ - ٢٤٥ هـ ٧٦٥ / ٨٥٩ م)، هو من أشهر شعراء الشيعة الذي اشتهرت قصيدته الثائية في عصرها.

لقبه دعبل وقيل إسمه حسن وعبدالرحمن ومحمد. لكن لا يعرف بهذه الأسماء. كان له ثلاثة أبناء: عبدالله وعلي وحسين، ورث علي وحسين قريحة الشعر من أبيهم وكان كلاهما من الشعراء. كما كان لحسين ديوان من الشعر وأدرجت بعض أشعاره في كتب التاريخ ونقلت في التذكريات.

أصله من أهل الكوفة أو على قول من قرقيزيا، وهي كانت من بلاد الشام، ولم يسكن في مكان واحد، كانت حياته مليئة بالتنقل في البلاد من مدينة إلى مدينة وإن كان أكثر مقامه في بغداد.

لقائه بأهل البيت عليهم السلام

أدرك دعبل الخزازي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وقد كان يروي عن الإمام الرضا عليه السلام وكذلك حدث عن مالك بن أنس والواقدي وشعبة وسفيان الثوري والخليفة المأمون العباسي (الخليفة ١٩٨-٢١٨ هـ) وروى عنه (دعبل) ابن أبي داود قاضي القضاة، ومحمد بن موسى وأخويه علي واسماعيل.

فترة الحكم

ولي دعبل سمنجان لمدة وهي بلدة من طخارستان (افغانستان) ولفترة كان والياً على أسوان من بلاد مصر. وصفوه بأنه شاعر متقدم، مطبوع، كثير الهجاء، شديد اللسان، لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم.

ويكفي في مظهر شجاعته أنه قالها بنفسه: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي، أدور على من يصليني عليها فما أجد من يفعل ذلك.

انه هجا المأمون (الخليفة ١٩٨-٢١٨ هـ) والمعتصم (الخليفة ٢١٨-٢٢٧ هـ) والوائق (الخليفة ٢٢٧-٢٣٢ هـ) والمتوك (الخليفة ٢٣٢-٢٤٧ هـ) فلما أراد المعتصم قتله هرب إلى إيران.

أشعاره

كان دعبل من المشهورين عند الشيعة بالميل إلى الإمام علي عليه السلام، وقد نظم قصيدة مشهورة في مدح آل البيت عليهم السلام والتي عُرفت بالقصيدة الثائية وتعتبر من أحسن الشعر وأسن المدائح، قصد بها الإمام علي بن موسى الرضا (ع) وقرأها عنده وذكر في أبياتها مرثي أهل البيت عليهم السلام ومدحهم. البيتان المشهوران من تلك القصيدة هي هكذا:

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات
خروج الام لا محالة خارج
يقوم على اسم الله والبركات

فلما وصل دعبل في قصيدته إلى قبر الامام الكاظم عليه السلام، ألحق الإمام الرضا عليه السلام بيتين بقصيدته وصدر البيت هكذا:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة
ألخت على الأشياء بالزفرات
فأعطاه الإمام خاتماً من عقيق
ودراهم مما ضرب باسمه وقال: فإنك حينما تصل إلى قم ستحتاج إليها وكان مما أعطاه أيضاً قميص خز وقال: احتفظ بهذا القميص فقد صليت فيه ألف ركعة وختمت فيه القرآن ألف ختمة.

كيفية شهادته

كتبوا حول إستشهاد هذا الشاعر الملتهم قلبه على أهل البيت عليهم السلام بأن حينما هجا دعبل حاكم دمشق مالك بن طوق، أرسل إليه؛ فهرب دعبل إلى البصرة، فأغرى حاكم دمشق رجلاً وأمره أن يقتل دعبل كيف شاء.

فلم يزل الرجل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس، فاغتاله ليلاً إذ ضربه بعكاز مسموم فمات، ودفن في نواحي السوس، وأيضاً هناك